



ألوان السيدة المتغيرة

فاضل السلطاني

شعر



ألوان السيدة المتغيرة

المؤلف: فاضل السلطاني
الكتاب: ألوان السيدة المتغيرة (شعر)

صدرت النسخة الرقمية: تشرين الأول/ أكتوبر 2026
- الطبعة الأولى 2010 دار المدى - بغداد

- الناشر: «ألف ياء AlfYaa»
- الموقع الإلكتروني: www.alfyaa.net
- جميع حقوق توزيع النسخة الرقمية بكل التنسيقات PDF، ePub و/أو أي تنسيق رقمي آخر محفوظة لـ «ألف ياء AlfYaa»
- جميع الحقوق الفكرية محفوظة للمؤلف
- يعبر محتوى الكتاب عن آراء مؤلفه.
- «ألف ياء AlfYaa» ناشرة للكتاب فقط وهي غير مسؤولة عن محتوى الكتاب



● تصميم الغلاف والإخراج: طالب الداود

منشورات «ألف ياء AlfYaa»

فاضل السلطاني

ألوان السيدة المتغيرة

شعر

منشورات «ألف ياء» AlfYaa

المحتويات

7	ماذا لو كنت معي.....
9	وحشة.....
13	صورة.....
15	أمي.....
17	أر.أس. توماس.....
19	عشتار في متحف برلين.....
21	الموت بالماء.....
23	في حانة إنجليزية.....
25	ولادة.....
29	في حديقة عامة.....
31	وجه صديق مات.....
33	أنفاق موسوليني.....
37	عابرة في شارع دمشق.....
41	صبرية.....
45	ألوان السيدة المتغيرة.....
49	ساوث بانك.....
51	رسام.....
53	سيدتي الجميلة.....
63	ماذا أفعل بهذي الحرب؟ ماذا أفعل بهذا الطاغية؟.....
67	العودة.....

71	حفلة في سو هو
75	احتفال
79	جاز
81	شكراً لك
85	ليكن أحد / لا أحد جنبي
91	ما أجمل العالم في منتصف الذاكرة!
95	يحدث في غرفتي الهادئة
99	جدار
101	في الطريق
105	يد
109	بابل ... بابيلون
123	لم يبق شيء
125	فأر
127	يد الإله الأخيرة
131	سهام

ماذا لو كنتِ معي

ماذا لو كنتِ معي؟

لهزمنّا البحرُ

ثم شققنا منه نهريْن

لتقاسمناه نصفينْ

لضحكنا منه كثيراً

هذا الثرثارُ الصاحبُ ليلَ نهارِ

لركبناه، هذا الجبارُ الماحقُ، مثلَ حمازٍ

ولقلبناه يميناً ويساراً كالأسماكِ

هذا الفاجرُ فاهُ

منذ سقاهُ اللهُ مياهِ الأرضِ،

لفتحنا الجوفَ الممتدَّ

من الطوفانِ الأكبرِ

واستخرجنا منه ضحايه
من يونسَ حتى ابنِ أخِي
ثم دفناه

.....

لكنك لستِ معي.

وحشة

.. وتزيحُ الستائرَ ثم تغلقها
ما يزال الغبارُ على النافذة
ما يزال الرصيف البعيدُ بعيداً
وهم يعبرون°
غير أنك ترقبُ..
قد يخطئون الطريقَ إلى الموتِ،
ينعطفونَ يساراً إلى البيتِ،
قد يشترون
زهرة للجدار
ثم يمشون ..
قد تمرقُ امرأةٌ
فتزيح الغبارَ عن النافذة

ثم تمضي لتدخل بيت الجميع.
علَّ صوتاً يضلُّ الطريقَ
فيطرق بيتك.. يأخذ شيئاً من الصمتِ
ثم يطيرُ وحيداً،
ضائعاً في الفضاء
قد يخور
ذلك العابرُ الهائلُ الخطواتِ
تحت ماء السماءِ
ويدخل بيتك ..
-تمهل قليلاً
أيها العابرُ الهائلُ الخطواتِ
فلن يسبقَ الموتَ خطوكِ..
ليس سوى خطوتينِ إلى البيتِ ...تدخلهُ
ثم تحزم شيئاً من الليلِ
في جيبِ سترتكِ الهائلة،
ثم تمضي سريعاً
هائجاً مثل ذئب البوادي

وحيداً ككلبٍ عجوز
يسبق الموتُ خطوك فوق الرصيف

.....

وتزيج الستائر ثم تغلقها
كلما يسقط الضوء
ينمو الغبارُ على النافذة
وهمُ يعبرونَ أمامك سرباً من النملِ
يولد، ثم ينفقُ، ثم يبعثُ...
فوق الرصيف.

صورة

هل تذكرين؟

كنتِ في وسط الصورة

وعلى جانبيكِ كانت الموسيقى تعزفُ

كأنها الموسيقى الأخيرة على الأرضِ

وكنتُ أحرار

كيف أميز العازفَ من العزفِ؟

والراقصَ من الرقصِ؟⁽¹⁾

كنتِ تجلسين وسط الصورة

لا هية عن الموسيقى،

عن لحظة ثَبَّتَتْكِ إلى الأبدِ

صورةً في إطار

(1) كيف أعرف الراقص من الرقص؟ (وليم بتلر بيتس).

وكنـت أـحـار
كـيـف أـدخـلُ فـي الصـورـة؟
كـيـف أـفـصـلُ النـورَ عـن الظـلِّ؟
لـكـنـك كـنـتِ تـبـتـسـمـين
لـا هـيـةً عـن الـلـحـظـة
و هـي تـكـبـرُ خـلـفُ الإـطـار.
غـيـر أنـي، وأنا فـي غـرقتـي المـعـتـمـة،
أراـك أـحـيانـا
تـنـسـلـين مـن الصـورـة
مـثـلـما يـنـسـلُ اللـحـنُ مـن العـازـف،
والنـغـمـةُ مـن المـوسـيـقـى،
والخـطـوةُ مـن الـراقـص،
ثـمَ تـدخـلـينَ إلـى الضـوء ...
كـي تـحـترقـي

أمي

أنتِ هنا في غرفتي الصغيرة
النقطةُ الأقربُ في الكونِ إلى السماء
أسمع طولَ الليلِ، يا أمي،
صلاتك الأخيرة
وَألمسُ الجبينَ، وهو ينحني، إلى الإله
أنتِ هنا، أيتها الميئةُ،
في غرفتي الصغيرة،
النقطةُ الأقربُ في الكونِ..
إلى الحياة.

أر.أس. توماس *

مثلّك، أنا أيضاً،
أسمع أحياناً في الصمتِ
عواءِ كلابٍ في بابلٍ،
وأرى أحياناً في العتمةِ
حدّاتٍ تنقُضُ على جثتي المرميةِ في بغداد
لكني ، مثلّك، أسمع أحياناً
خفقَ نوارسٍ في بحرٍ ما
وتكسّر موجاتٍ فوقَ ضفافٍ ما
وأرى أسماكاً تتوالّدُ،
ثم يهرّبها البحرُ

* الشاعر والكاهن الويلزي. وقد كتبت القصيدة قبل رحيله بأشهر
في 2001 عن 91 عاماً .

كي تدخل في شبك الأبدية.

*

مثلك، أنا أيضاً، أسمع أحياناً
موسيقى غامضةً منتصفَ الليلِ
وأصواتاً تدعوني
فأغادر بيتي
عليّ أبصرَ صوتاً أعرفه ..
لا صوتَ هناك.
من كان إذن يدعوني
أو يدعوك طوالَ الليلِ
لا أحد؟ أصواتٌ ضائعةٌ في البرية؟
من كان إذن يتسمعُ خلفَ البابِ
صوتَ الموتِ
وهو يدبُّ على جدرانِ الغرفة
أنا .. أم أنت؟

منشورات «آلف ياء» AlYaa

عشتار في متحف برلين

منذ خمسة آلاف سنة
تنام عشتار في سريرها
بانتظار أن يأتي
منذ خمسة آلاف سنة
عشتار تنتظرُ
في متحفٍ ضائعٍ في الأرضِ تنتظرُ.
يمر الزائرون
يمر كلكامشُ وهو يحمل فوق كتفيه
تمثاله الزجاجي ، عدته الوحيدة من الخلود،
معتذراً عن كل بذاءاته
منذ خمسة آلاف سنة.
يمر اوزوريس

وهو يجر خلفه قطعه الأربع عشرة
متوسلاً أن تعيد إليه الجسد.
يمر الشعراء الموتى،
يمر العاشقون بلا عشق
وعشتارُ تنتظرُ
في سريرها الخشبي،
في متحف ضائع في الأرض تنتظرُ
تعبت من الحياة وهي تنتظرُ
أن يأتيَ الزائرُ المنتظر ..
كي تموت.

الموت بالماء

إلى 350 عراقياً غرقوا في البحر في طريقهم
إلى استراليا طلباً للجوء عام 2001

إنه الموتُ بالماء..
أعذب موتُ
يتشربه الدمُ حتى تشفَّ العروقُ
وتهبطَ مثلَ النوارسِ للقاعِ..
بيضاءُ أنتِ كما الماء في القاعِ ،
صافيةٌ كالسماء وراء المياه الغربية...
غوصي مع الماءِ..
عيناكِ محَّارتانُ
تشربان من البحرِ لؤلؤهُ
ثمَّ .. تنغلقان.

حذار من الموت بالماء ..
شدي على الخشبة
سوف يرفعك الماء ساريةً
تستظل الطيور بها من هجير الرصاص
ثم تبحر للقاع زوجين زوجين
شدي على الخشبة
أنت لست المسيح
لتمشي على الماء .. وارتفعي
زوجة النهر أنت،
وأخْتُ المياه العميقة ..
لا تشربي الملح ..
قد نبلعُ النهر بعد قليل
إنه النهرُ يلمع .. هل تبصرين ؟
مشرقاً مثل ضوء الإله
إنه النهرُ أعذب من كلِّ بحرٍ
فشدي على الخشبة ...
أبحري، أنت أخْتُ المياه الوديدة،
نحو ماء الفرات.

في حانة إنجليزية

عد أيها العجوز
لبيتك المملوء بأك
للغرفة التي بنيتها عليك
للمائدة
حيث مزجت الخمر بالموسيقى،
حيث الكراسي تتمطى من نعاس،
حيث السرير،
يفرّج ساقيه ولا يلقاك
حيث النافذة
تفتح طول الليل عينيها
ولا تراك.
عد أيها العجوز

ماذا هناك
سواك؟

ولادة

أغلقي جسمك الآن..
أسمعُ ظلاً غريباً
يدبُّ على الساقين
وعلى الراحتين أرى
دمعتين من الخوفِ ترتعشان
أغلقي جسمك الآن...
شيءٌ تغيَّر... حتى الكتاب
يغلقُ الآنَ عنوانه
والجدار يُغيِّرُ ألوانه
ويهرَّبُ لوحاته..
أين علقَتِ "آنساتِ أفنيون"؟*

* لوحة بيكاسو الشهيرة التي رسمها عام 1907.

كم كنتِ أحببتها
فكسرتِ الإطار
فهربنَ من الظلِ للنور
حتى تهاوين فوقَ يديكِ.
أغلقي جسمك المفتوحَ منذ قرونٍ
ربما يدخل الآنَ من أيما فتحةٍ
ربما يرقد الآنَ بيني وبينكِ
أغلقي جسمك الآنَ.. انغلقي
أسمع الزائرَ المستحيلَ
على البابِ يطرقُ
والبيت يفتحُ أبوابه
والسريرُ الذي قد تناصفتِ
بينني وبين الجدارِ
يهربُ ظلتهُ..
افتحي جسمك الآنَ..
هل تسمعين؟
إنه الزائر المستحيل

طفلك المنتظر

ينضج الآن بين يديك

.....

حان وقتُ الرحيل.

في حديقة عامة

عاشقان صغيران فوق الحشائش...

أسمعهما يقرآن

سورة الحب من دونما كتاب

وأنا وكتابي وحيدان

نرقب... ترمقنا زهرة خائفة

... ويحوم على الغصن طير كأن الجحيم

ينفخ النار فيه

كأن الجناح الثقيل

جدار يسد السماء

ثم يهبط بيني وبين كتابي والعاشقين الصغيرين

والزهرة التي كادت تضيء،

وهو يقرأ سورة الحرب

من دونما كتاب
ثم ندخلُ في حزمة النار
فوق الحشائش..
أنا وكتابي والعاشقان الصغيران
والزهرة التي كادت تضيء.

وجه صديق مات

إلى (مظهر)

سرقْتُ رداءَكَ ثم دخلتُ
شوارعَ لندنَ مثلَ المهرجِ
هل خنْتُ وجهَكَ
أم تراني نسيْتُ وصاياكَ؟
كنتَ تضحك مني..
من البسمةِ الخائفةِ
وهيَ تعتصرُ الشفتينِ
أمامَ العابرينَ
وهم يرقصون على الأرصفةِ
حيث تنبسط الأرضُ،
حيث يدوّزنُ ربُّكَ إيقاعهُ..

كنتَ تسخرُ مني:
هنا الوردُ.. ارقصُ هنا
وتعلّم
كيف تفصلُ بين الرصيفِ
وبين القدمِ،
_ إذا دار في دمك الخمرُ -
بين الديالكتيكِ والصبية الراقصين
حين يحتدم الدُم فوق الرصيفِ،
حين يشحبُ بين يديّ
رداءُ المهرج ثم اكتشف
وجهي على وجهك المستديرِ
إلى جهة الموتِ..
فات الأوانُ؟
خنتُ وجهك أم خنتُ وجهي؟
أم قسمتنا الخيانةُ وجهين..
وجهٌ يُصلى عليه
ووجهٌ يصلي عليك؟

أنفاق موسوليني

بنى سبعةً وسبعين نفقاً
نفقٌ لكل امرأة.
لم يكن يملك الوقت الكافي
لعبور كل الأنفاق،
والنوم في سبعة وسبعين فراشاً
جمع الأنفاق كلها
في غرفة واحدة
والنساء في نفق واحد
يمتدُّ من "سالو"*
حتى روما.

* سالو: المدينة الإيطالية التي أعلن فيها موسوليني جمهوريته بين عامي 1943-1945.

وظلّ يركضُ ذهاباً وإياباً
من جدارٍ لجدارٍ
من أعلى السريرِ لأسفلهِ
من سألوا حتى روما
ومن روما حتى آخر الليلِ
حيث كان الرجال المتبقون من حروب الصباح
ينتظرون نساء المساءِ
النائمات في النفق.
لم يكن يملك الوقت الكافي لعبور الطريق
من روما حتى آخر امرأة
فدار دورتين
ورأى مدناً تتمدد كالأسرة المفتوحة
وأنفاقاً تنتظرُ
ورجالاً خارجين من بيوت النساء
بانتظار شاحنات طويلات كأنفاق،
خارجاتٍ من قلبِ روما
في الطريقِ إلى الكون.

لم يكن يملك الوقت الكافي
لانتظار الموتى العائدين
لبيوت بلا نساء
لعبور السرير من أوله لآخره
فلفه في منديل
رفعه عالياً في الهواء
ساحباً ما تبقى من الأجنة والرماد
ودار دورتين في النفق
نابشاً بأظفاره الطويلة كالشاحنات
أحجاره التي تساقطت كورق
ثم صنع منها تابوتاً بطول سبعة وسبعين نفقاً..
ونام فيه.

عابرة في شارع دمشق

أظنني رأيتك في الجامع الأموي
كنت تخطين شيئاً فوق الجدران
لم يقرأه أحدٌ
ولا حتى أنا

ورأيتك تصعدين حتى المئذنة الكبرى
ثم قلت شيئاً لم يسمعه أحدٌ
ولا حتى أنا

ثم رأيتك تهبطين فرعاءً
فوق كتفك القصائد،
وفي يديك صورةً لوجهي.
شاهقة أنت مثل المآذن
فكيف تسلفت كتفك القصائد؟

وغريبة أنتِ فأين رأيتِ أُمي
فأعطتكِ صورةَ وجهي القديم؟
كنتُ أتبعكِ من الحمراء*
حتى المنعطفِ الواصلِ لابنِ عربي
لأسرقَ شيئاً من الثوبِ،
لأحملَ فوقَ كتفيّ
شهوةَ الحبِّ لا الحبَّ**،
شيئاً من ذاكِ السوسنِ في حدائقِ فارسَ
لكنكِ كنتِ تحثينِ الخطي
نحو ذاكِ الموتِ المباركِ
وكنتُ أراكِ تنفضينِ،
قصيدةً قصيدةً،
تلكِ القصائدَ التي علقتها على كتفيكِ
كنتُ أريدُ أن أدخلَ في موتكِ،
أن ألمسَ شيئاً من الحُلْمَةِ التي تخدمُ

* الحمراء: شارع رئيسي في دمشق يقود إلى شارع "شيخ محيي الدين".

** محيي الدين بن عربي: اللهم أعطني الحب، لا شهوة الحب.

"في حضرة الموتِ المبارك،
أن أنزع عنك الحبَّ لا شهوةَ الحبِّ،
لكنك كنت تحثين الخطي
نحو ذاك الموتِ المبارك
وأنت تحملين وجهي القديم
والقصائد التي أعدتها إليك
بعدما علقتها في الجامع الأمويِّ
ورميته في الحمراء
في المنعطفِ إلى ابن عربي
وأنت تحثين الخطي
من ذلك الزقاقِ الدمشقيِّ
إلى الطريق التي لن تعود..
سوى إليك.

صبرية *

هل تذكرين، وأنتِ في قبرك الآن،
كيف أطفأتِ حريق القصائد،
في ذلك الموقدِ القديم،
موقدِ الإنجليز الذين أورثوه أبي؟
كيف لم تحترق أصابعك في حريق القصائد،
ثم فاجأتني وأخذتِ الرماد؟
أعيدي إلي رمادي،
رماد موقدِ أبي القديم،
ميراث الإنجليز لأبي

* اخت الشاعر الراحلة التي انتشلت دفن قصائده بعدما رماه في موقد البيت في فترة المراهقة. وكان ذلك البيت من طراز البيوت الكبيرة التي بناها الإنجليز بداية القرن الماضي لعمال الري، ومنهم أب الشاعر، في مدينة سدة الهندية.

وانهضي لحظة وتأملي
ماذا فعل التراب بأصابعك.
- ماذا فعل التراب؟
- هلاً نهضت قليلاً لتعرفي
كيف أزهرت شجرة التراب على قبرك
ثم استطالت ثم ظللتك
من الأرض حتى السماء.
كيف أراكِ إذن؟
كيف أمسك تلك الأصابع كي أسترّد منها الرماد؟
رجاءً أزيحي التراب قليلاً
أنا هنا واقفٌ فوق قبرك
في انتظار رماد القصائد،
رماد موقد أبي،
رماد موقد الإنجليز الذي أورثوه أبي
حين كان فتياً
حين كانت أمي
تلعب الغميضة مع أبي

حين كنتِ
تلعبين الغميضة مع الإنجليز
حين كنتُ فتياً
أرمي القصائد للنارِ
في موقد الإنجليز الذي أورثوه أبي

.....

أعيدي إليّ الرمادَ
أعيدي حريقَ الأصابع الطويلةِ
ها أنا واقف فوق قبركِ
لكن لا أرى أحدا
سوى تلك الأصابع الطويلةِ
وهي تمتدُ لموقد الإنجليز الذي أورثوه أبي،
تلتقط القصائدَ
ثم تلفها على أطرافها...
حتى القبرِ.

ألوان السيدة المتغيرة

زرقاء كنتِ تحت ذراعي
وكان الثلج الأزرق يُمطرُ
زرقاء أنتِ
كأنَّ السماءَ قبعْتُكَ
وكان الليلُ الأزرقُ يمطرُ
نحن في المنتصف الآنَ
أنسرُعُ أم نعودُ؟
العشبُ الناهضُ
يرقبُ أن ندخلهُ
والفجرُ الأبيضُ
ينتظرُ أن نبلغهُ
نحن في المنتصف الآنَ

وأنت تكبرين تحت ذراعي

مع الليل والعشبِ

كنت أريد أن أرى عينيكِ

بين الأزرق والأبيضِ

لكني رأيت دمعتين في عينيّ

تذكرتُ شاعراً وحيداً

أحب فقتلته الموسيقى

كان الثلج الأبيض يسقطُ

وأنت تكبرين

أردت شيئاً من الثلج فوق شعركِ،

أن ألمّ شيئاً من البياض

بيتُ من الثلج كان شعركِ

كيف كبرتِ في لحظتين

والأرضُ لم تكمل دورتها

ونحن في منتصف الشارع؟

هل ألمّ شيئاً من البياض؟

هل أحفر في كتلة الثلجِ

فوق شعرك؟
راحتايّ بيضاوان
والشارعُ أبيضُ
كيف سفتِ كلَّ هذا البياضِ
في لحظتين؟
زرقاء أنت
كأنّ السماء تسترد منك الدماء
نحن في المنتصف الآن
والليل والفجر يرقبان
أنسرع أم نعودُ
أم ندخل العشب؟
لكنك تتسلين من بين ذراعي
زرقاء فوق الحجر الأزرق
في منتصف الشارع
والليل والفجر يرقبان
ثمّ أراك تهبطين
تحت ذراعي

فوق الحجر المتراقص
ثقيلةً كأنك تلبسين الأرضَ والسماء.

ساوث بانك *

هل كنتِ هنا؟

كيف سأعرفُ؟

لكني لمحتُ شيئاً منكِ فوق المقعدِ

بين الشمسِ والماءِ.

كان النهرُ سريعاً

وكنتِ أعرفُ،

كما علمني الحكماءُ القدامى،

أن النهرَ لا يجري مرتين

غيرِ إني تغافلتُ قليلاً

وكنتِ ذهبتِ

قلتُ: سأتبع النهرَ

* منطقة في وسط لندن تطل على نهر التيمز.

فقد أقبل الليلُ
وانسحب الظلُّ
لكني في منتصف الموتِ عرفتُ
كم ضللتني الحكماءُ القدامى
فالنهر قد يجري مرتين
وإنك قد تأتين... مرتين.

رسام

(إلى كاظم خليفة)

كلما يهبط الليل
يسأل لوحته
كيف اخرج منك إلى الليل،
حيث الإله
يرش على الأرض
ضوء المساء
وحيث الحياة
تبدل لوناً بلون
كيف اكسر هذا الإطار
واستبدل النور بالظل

منشورات «ألف ياء» AIfYaa

حتى أرى الكائنات
تتعرى من اللون،
بيضاء ترقصُ في غرفتي
ثم تهربُ مني
إلى الليلِ حيثُ الإله
يرش الضياءَ على الأرض..
لا ظلَّ نورٍ يعشعشُ بين الزوايا
ولا وجهَ يأسره اللون...
كيف أنامُ
وأنا أبذل ليلاً بليلٍ
ولونا بلون؟
لكنه، كلما يهبط الضوء،
يدخل لوحته ..
من جديد .

سيدتي الجميلة

وزعتكِ أمس مساء

في شوارع لندن

فرقتكِ بين الملائكة والشياطين

ثم جمعتكِ

ثم هبطتُ بكِ

مطوعةً كنتِ بين يديّ

لا حولَ لكِ

منتصبَةً في الساحاتِ

أو نائمةً فوق العشبِ

سعيدةً كنتِ

وأنا أنقلُكِ

بين الكنائسِ والمواعيرِ

أنصبك فوق التماثيل
حيث كان شارلي شابلن
يرفع قدميه الساخرتين
فوق رؤوس العابرين
حيث كان هنري الثامن
يحتفل بزواجه الميَّتات
حيث كان مونتغمري
ينزع عن كتفيه النجوم
بعدما شبع من الضجر
أشكلك في سبع خطواتٍ
أقول لك: انطقي
ثم أكسرك
أقول لك: كوني
حرّاً أنا
ألعب بك كما أشاء
ولينة أنتِ
فوق يديّ

وتحتهما
على يساري ويميني
لينة أنت
كأنك الطينة الأولى
أبسمك بك النهار
أو أخته
أفتح السرة أو أغلقها
حتى يعود الجنود من الحرب
ظهرك منبسطة
وواسع مثل المراكب*
أناديك يا أنا
فأسمع صوتي
أغلق ظلي على
فأراك تنبسطين
واسعة أنت علي مثل المراكب
وضيقة كسرير الزواج

* عن سان جون بيرس.

أَلْعَبُ مَعَكَ النَّرْدَ
تَخْطِئِينَ فَأُصِيبُ
أَعْلَمُكَ الْإِشَارَاتِ
وَلُغَةَ الْمُلُوكِ الْأَوَائِلِ
أَعْلَمُكَ كَيْفَ تَلْبَسِينَ الْجَمَالَ
وَتَرْتَدِينَ الْحَزْنَ
لَتَكُونِي فِي ظِلَالِ الْإِلَهِ
أَعْلَمُكَ كَيْفَ تَكُونِينَ أَمَّا
أَعْلَمُكَ الْفِرَاقَ لَتَكْرَهِيهِ
أَعْلَمُكَ – أَيْتَهَا الصَّبِيحَةُ - وَحِشَةَ الشُّيُوخِ.
لِيَنُتَّ أَنْتِ بَيْنَ يَدَيَّ
كَالطَّيْنَةِ الْأُولَى
أَعْلَمُ أَصَابِعَكَ التَّشْكِيلَ
أَعْلَمُ سَاعِدَيْكَ الْقُوَّةَ
أَعْلَمُ عُنُقَكَ الْإِسْتِدَارَةَ
أَعْلَمُ سَاقِيكَ الْمَوْسِيقَى
أَعْلَمُ طَوْلَكَ الْإِنْحِنَاءَ

ليعبّرَ تحتَ يديّ
لينةُ أنتِ
كأنكِ الثمرُ الناضجُ
أعلمكِ المعنى
المسفوحَ على الأرصفة
وأقولُ لكِ: إقرأي
أعلمكِ الكتبَ
وأعطيكِ النسيانَ
أعلمكِ القلمَ
وأعطيكِ البياضَ
أوزعكِ في المراقصِ
وأسائلُ ساقيكِ المرحتين:
هل عاد الجنودُ من الحربِ؟
أختارُ لكِ قمصانَ الموتِ
وأطردكِ إلى العراءِ
حيثُ ينامُ الله وحيدا
في جبتِه

حتى يعودَ الجنودُ من الحربِ
وأقولُ: سلاماً على الكونِ
يستدير على مرفقيكِ
سلاماً على ذنبِ البوادي
وصرخته
سلاماً لموتكِ حينَ اعتلانا السريرُ
وحين استفاق على صرخةِ الحبِّ
ذنبُ البوادي
سلاماً عليكِ حين تموتينَ رائعةً
كأنَّكِ تلكِ البلادُ التي رحلت من بلادِي
مطواعةٌ أنتِ
أسحبكِ حتى تستقيمي
أعطيكِ الكلمات
وأقول لكِ: وسعي الأرضَ قليلاً
وانبسطي في الظلِّ
يا ظلي في ظلي
يا وجهي في الجموع

أيتها الواقفةُ في منتصفِ الطريقِ إليكِ
أيتها العابرةُ الهائلةُ الخطى إليَّ
أشكّل قدميكِ
ثم أرميكِ في الهواءِ
وأقول لكِ: انبسطي في الأرضِ
أيتها الواقفةُ في منتصفِ الطريقِ إليَّ
في الأحدِ
رأيتكِ واقفةً في الضبابِ
فوق جسرٍ بلندنَ
حيث ينام الميتون
حيث لا أحد
فأخذتُ يديكِ
وأدخلتُ موتكِ بين الظلالِ
حيث ينهزمُ الموتُ
حيثُ تبدّلُ أثوابُها الكائناتُ
وتستبدّلُ الظلّ بالضوءِ
حيث لا أحد

في الظلال يموتُ
حيث يبتدع الربُّ لوحتهُ
في شوارع لندن.. سرحتكِ
ثم نسيْتُ إيقاعَ قدميكِ
- لك الطول المرخى
وثنياءُ في اليد -
ثم رأيتكِ واقفةً بين الملائكةِ والشیاطينِ
منتصبَةً في الساحاتِ
نائمةً فوق العشبِ
سعيدةً كنتِ
وأنتِ تأخذينني
إلى الساحاتِ
ترفعين رأسي
عالياً فوق الجميع
تختمينه مكملاً في وحدتهِ
تدورين حولي
ثم تمضينَ

مع الجميع
حيث يستطيل سريرُ الزواجِ
حيث يموت ذنبُ البوادي
ويعود الجنودُ من الحربِ
تغلقين ظلي عليكِ
ثم تنبسطين
فرحةً في ظلالِ الإله
تعلمتِ كيف تكونين أماً
وأنستِ وحشةَ الشيوخِ
حرّةٌ أنتِ
تلعبين النرد مع النور
تفتحين الظلَّ عليه أو تغلقيه
تعلمين الملوكَ الإشاراتِ
ثم تأخذين البهاء
تعلميني الكتبِ
ثم تعطيني النسيان
مثقلةٌ أنتِ

كانك تلبسين الأرضَ
كانك تلبسينني
كانك تنزعين الحزنَ عن كتفك...
وترتدينَ الجمال.

ماذا أفعل بهذي الحرب؟ ماذا أفعل بهذا الطاغية؟

ماذا سأفعل بالحرب هذه الليلة

كيف أقتلها

حتى لا تنهض في الصباح

معربة في الدروب؟

كيف أقتلها

بالخنق أو السم؟

أم أضعها في صندوق

ثم ألقيها في البحر؟

ماذا سأفعل بهذي الحرب

وهي تنام كل ليلة في سريري

فاتحة فخذيها

هذه الولود التي لا تكف عن الإنجاب

كيف أطردها من البيت؟

من حجراته؟

وجدرانه؟

وألوانه؟

كيف أنظف المراة منها

هذه الحرب التي تلبس وجهي

كل صباح

قبل أن ألبسه؟

ثم.. ماذا أفعل بهذا الطاغية

وهو يولدها

كلما استبد به الممل

يمسدها، يغسل شعرها، يعطرها،

ثم يطلقها في دروب الله

فتنة للناظرين.

ماذا أفعل بهذه الحرب؟

ماذا أفعل بهذا الطاغية؟

هاهما أمامي:

يدخل فيها

وتدخل فيه

فيولد الوحش الخرافي الرهيب.

2003 / 21 آذار

العودة

سأعودُ

قد يعرفني النخل المقطوع الأعناقِ

وبعض الأشجارُ

قد تعرفني بعض الأحجارُ

سيحييني بعض الطيرِ

اللابدِ في الوكناتِ.

سأقول: صباح الخيرُ

هأنذا عدتُ

ما زلت كما كنتُ

قد يعرفني بعض الأمواتِ

فيزيح التراب عن القبرِ

- سلاماً ..

أين رحلت طويلاً؟

ما زلت كما كنت

كأنك متّ

فما مرت في البعد عليك حياة.

سأعودُ

سأمشي مرحاً في الأرض

ستعرفني أُمي

وسيخضلُ العشب على القبرِ

سأقول: مساء الخيرُ

هاأنذا عدتُ

ما زلت كما كنتُ..

أين أبي؟

سأجمّع بعض قصائد كانت أخفتها الريحُ

عند النهزُ

سأقول: صباح الخيرُ

أيتها الكلمات

أتذكرتِ الشاعر في خلوته؟

سأللم بعض صباي المتنثر في الحارات
سأقول: مساء الخير
هل تعرفني؟
ها أنذا عدتُ
ما زلت كما كنتُ
- إذن من هذا الشيخ الواقف خلفك
إني أبصر شيئاً مني فيه
وعلى جبهته ألمح بعض خطوط اعرفها
وأرى فوق الوجه غصوناً تتعرجُ..
في الكفين خطوطاً تتماوجُ
فوق الجلد.. كأنني مرسوم فيها؟
سأعود لتلك الشجرة
واقفةً فوق النهر
جرداء من الغصن ومن الطير
سأقول: مساء الخير
أيتها الثكلى!
هاأنذا عدت إليك

سأعود لذاك البيت
سأقول: لك الله كم موتاً مرّ عليك!
ستصطف الأشجار على الصفيّن
سيحييني الشجر الأشرف منتصباً الأعناق
سيفيض النهر
سترقصه الريح
سيبتل قميصي
وسينفتح البيت
سأقول: مساء الخير
ها أنذا عدتُ
ما زلت كما كنتُ كأني متُّ
فما مرت في البعد عليّ حياةٌ

* * *

قد يعرفني بعض الأموات

حفلة في سوهو

(إلى لوي)

كيف تكلكَ فوقِي الليلُ،
تلك اللحظة في سوهو،
حيث تعبُ الأرضُ الضوءَ من كلِّ زوايا الكون؟
فتكورت الحربُ،
وانتشر الجندُ الموتى فوق البارِ،
حيث انهمر النورُ من زاويةً في الكونِ
على ساقِ امرأةٍ عابرةٍ
تلك اللحظة في سوهو.
من أين أتى الجند الموتى،
وهم ماتوا قبلي،

ورأيتُ قبورهم
في زاويةٍ في تلك الأرض؟
كيف انتشروا في البار
نظيفين من الموتِ،
ثمَّ تصاحبنا،
ورفعنا نخبَ العشاقِ المخدوعين،
وتبادلنا الرقصَ على الأرضِ..
كنا نعرف كم نحن نحيفونَ وهشونَ
كما القشُّ وراء زجاج البار
حيثُ يعبُّ الكونُ الضوءَ الأحمرَ من ساقِ امرأةٍ
عابرةٍ في تلك اللحظةِ
من زمن الله الضائعِ
في تلك البقعةِ من سوهو
فنغيمُ،
ينطفئُ الشارغُ والبارُ،
ويرحلُ في جنح الليلِ.
جنود الله الموتى..

انتهت الحفلةُ
والفجرُ تنفسَ،
مزدهراً بالدنيا،
والبشرِ الضاجينَ
على الأرصفةِ البيضاء
حيث يرشُ اللهُ الضوءَ المشروبَ طولَ الليلِ
فأعودُ
وأنا أتعتزُّ طولَ الفجرِ
بأحذيةِ الجندِ الموتى.

احتفال

يظهرون
فجأة في الضياء
منذ جيلٍ من الليلِ
أحبابيَ الكثرُ
كم تناسل أحبابيَ الكثر
يولدون
فجأةً
يكبرون
فجأةً
ويموتونَ - بعد حياة-
في غرفتي

أم تراهم يختبئون؟

غير أنني أعرفهم

واحداً...واحداً

ذاك وجه أبي،

وجه أمي،

ثم أختي

ورابعهم ربهم

وبينهم عصابة الأصدقاء

إنهم يولدون

نطفة.. نطفة

من شرأشف مرمية في الزوايا

فجأةً يكبرون

في الزوايا

ويصلّون فوق الكتب

أولئك النائمون

منذ جيل من الليل

والراكضون
منذ جيل من الأرض
في الطريق إلى غرفتي
يجتمعون إليَّ
هذه الليلة - المائدة
نتبادلُ نخبَ الحياة
- تأخرتَ شيئاً من الأرض
حيث دارت هنا
أم تراكُ
قد لعبتَ علينا
ومتَّ هناك؟
يختفون
بعد جيلٍ من الحبِّ
إلا من الهمهمات التي تشرب الضوء في الفجرِ
ثم ترحل في الأرض حيث أدور
- طبتَ أرضا

أم تراك
تعبت قليلا؟
نراك هناك.

جاز

من أين يجيء الصوت؟
يصعد نحوي مخترقاً
حاجز صوت الموت؟
... ومغنية الجاز تبخ طوال الليل
وتطول سلالم نغمتها..
تتلوى فوق الجدران
من ألم..

تتزاوج أقدام فوق المسرح،
يولد أطفال ثم يشيخون،
وتنشأ حرب ثم تموت
ومغنية الجاز تبخ طوال الليل
يطير الصوت

منها ثمّ يتمددُ فوق الجدران
لينامَ على أَلَمٍ
...ويخبُّ الرقصُ قليلاً فوق المسرحِ
ثم يموتُ
لكن من هذا الراقصُ
يتقدّمُ نحوي...
من كان الراقصُ؟
هل كان أنا؟

شكراً لك

شكراً لك

للعشاء الأخير في 2005

لمساء آخر قبل الموت،

لشحنة الشمس في كفيك،

للضوء سربته أصابعك

لمساء آخر قبل الموت،

لآخر موسيقى لم أسمعها،

لمعطفك الراقِد بيننا،

لجناحي النافذة

على كتفيك

للشارع الذي يطلُّ عليك.

شكراً لك،

منشورات «ألف ياء» AlYaa

للمسافة بين لسانين،
بين الصمت والصوت،
للمسافة بين وجهين،
بين الليل والصبح،
لظلك الذي لا تبصرين
حيث ينام أحبابي الموتى.
شكراً لصمتي بين يديك،
لصوتك يقطعني،
لمعطفك الخجول يلتف عليّ
ونحن نعبّر الليل،
لآخر يد تأخذ بيدي
في المساء الأخير قبل الموت.
شكراً لـ "العشاء الأخير"،
لما رأيته
وما لم أر في المسافة بين الضوء والظل
حيث اختبأت طويلاً،
لذاكرة الحمام

وهي تركبُ مشهدك
وتوصل بينَ ظلكِ وضوءكِ
فيمتلئ الفراغُ
بما أرى ولا أرى.
شكراً لدخولك وخروجك،
لزم من خطوتك
يبطئ أو يتسارع،
لآخر يدين تأخذان بيدي
في المساء الأخير قبل الموت،
لقدميك
وهما ترتفعان فوق الضجيج
ثم تهبطان السلم الهابط بالأقدام
حيث تتأخى الكائنات
شكراً لكِ
وأنا أرى بعضك،
ضوءك وظلكِ
وهما ينفصلان

ثمّ بيتعدانِ
وأنتِ تهبطين
ذاك المساء المخيف
هل أومأتُ لكِ؟
هل قلتُ أحبكِ
وأنتِ تهبطين
ذاك المساء المخيف؟
كنتُ أرى يدي واقفةً وحدها
ولساني غريبُ

.....

شكراً لذاكرة الحمام
وهي تستعيدك،
تمزجُ ضوءكِ بظلكِ،
تفرشُ كلَّكِ فوق كفي
في المساء الأخير قبل الموتِ
فأرى الذي ما كنتُ..
قد رأيتُ.

ليكن أحد / لا أحد جنبي

ليكن أحد منكم جنبي
يحمل شيئاً عن كتفيّ
يأخذ شيئاً من هذي الموسيقى
- تتسرب من أين؟ -
يدوّرنُ هذي النعمة حين تننُ
كيلا ينهدّ جدار البيت.
ليكن أحدٌ منكم جنبي
يشغل عني هذا الموت
الواقف فوق الشرفة يرقبني
أن أدخل فيه،
يغلق عني هذا الباب
حيث يحوم طوال الليل

أحبابي الموتى،
يأخذ من قدمي رغبتيها
أن تسعى في الأرض،
وينزع عن كتفي
وشم الكون المرسوم
خطوطاً تتعرج
ثم تموج على الجسم،
تتلوى كالأفعى فوق العشب،
فلا يعرفها حتى الساحر.
ليكن أحد منكم جنبي
يحرص هذا البيت
فلا تزحف نحوي قدم
إلا قدم خفت الوطء على الأرض،
ولا يتسرب صوت
إلا صوت نقته النغمات
الأنحف من صوت الموت.
ليكن أحد منكم جنبي

حين يدقّ الزائر دقته الكبرى،
فتמיד الأرض،
ويجفل في خلوته الربُّ،
ويرتعش الشعراء الموتى،
ثم يخض الباب، ويدخل ملهوا
يتفقد أشياء الغرفة
مثل صديقٍ غاب عن البيت طويلاً،
ثم يمدّ أصابعه ويمسّد شعري،
فأتلو كالْمَعْشُوقِ.
ليكن أحدٌ منكم جنبي
حين أثورُ
من مقعدي النائي في الكونِ
ولا يبصرني أحدٌ في الكونِ،
وتهرب ذاكرتي
وهي تراجع صورتها
في مرآة فارغةٍ
كالرّجَمِ الفارغِ،

بيضاء كأن ما مرّ بها وجهٌ من قبلُ.

ليكن أحدٌ منكم جنبي

حين أسيرُ وحيدا

فوق الخطِ الأنحفِ في الأرضِ،

حين يخون الأخوةُ،

ويعودون من الحفلةِ

وعليهم حلٌّ من ثوبي.

.....

ليكن لا أحد

منكم جنبي

حين: تننّ النعمةُ،

ينهّد جدار البيتُ،

يرحل مبتسما عن شرفتي الموت

يدخل أحبابي الموتى الغرفةَ،

تتسربُ كل الأصوات،

تسعى كل الأقدام إليّ،

يهدأ في خلوته الربّ،

وينام الشعراء الموتى

فوق فراشي..

ليكن لا أحد

منكم جنبي.

ما أجمل العالم في منتصف الذاكرة!

ما أجمل العالم في منتصف الذاكرة!
أنتِ لم تذهبي بعدُ.
شعركَ ينحني فوق المائدة،
يطول أو يقصرُ،
يعود الجنودُ من الحرب،
ويعودون إلى الحرب،
يكبرون في الموت،
وينجبون بناتٍ مثلكِ
فارعاتٍ كالألهة
وأنتِ هنا

لم تذهبي بعدُ.
يدخل اليهودُ في الدين*،
يقوم اليعازرُ،
يهجر الصابئةُ الماءَ
وأنتَ ما تزالين هنا
تعمدينني في حمامك الصغير،
وسط العالمِ،
تمتدّ يداكِ إلى منتصفِ العالمِ
سفينتين ضائعتين
- متى تنامُ يداكِ؟ -
حتى يعود الجنود من الحربِ
ما أجمل العالمَ في منتصفِ الذاكرة!
وأنتَ هناك،
في حديقة الطفولة الصغيرة،
تدخلين وتخرجين،
تلوّنك النباتاتُ،

* الشاعر الفرنسي نيرفال: من قصيدة "إلى حبيبته الخجول".

وتلهو بك العصافيرُ
حتى تنفقَ من الحُبِّ،
وأنت ما تزالين هنا
تمدين أصابعكِ إلى منتصفِ العالمِ
حتى يعودَ الجنودُ من الحربِ
وينجبوا بناتٍ مثلكِ
يلوّنَ النباتاتِ،
ويلهونَ بالعصافيرِ
حتى يمرضنَ من الحُبِّ،
يطول شعركِ أو يقصرُ
فوق المائدة،
في حديقة الشيوخة الصغيرة،
في منتصفِ العالمِ،
في منتصفِ الموتِ
حتى يجوعَ الترابُ.
ابقي هنا

إلى أين ستذهبين؟
ما أجمل العالم في منتصف الذاكرة!

يحدث في غرفتي الهادئة

إنها غرفة هادئة:
كتب صامتة
وشعراء
نائمون على الرف منذ قرونٍ
وقد ينهضون
في الهزيع الأخير من الليل..
نقرأ شيئاً من الشعر فوق سريري،
وقد نتحاورُ بعضاً من الوقتِ،
ثمَّ يعودونَ للنوم..
في الكتبِ الصامتةِ.
إنها غرفةٌ هادئةِ.
لا ملائكةٌ أو شياطينَ تقربها

غيرُ زوجٍ من حمامٍ
يثرثرُ خلف النوافذِ..
كلّ النوافذِ مغلقةِ.

غيرِ إنِّي، بين حينٍ وحينٍ،
في الهزيع الأخير من الليلِ،
أبصرُ صوتاً

يتمدّد فوق النوافذِ
أو يتخلّل صوتَ الحمامِ

ثمّ ينسلّ حيث أنام
وتنام منذ قرون

كتبني الصامتة
ثمّ يبرقُ في الظلماتِ

فيرتعشُ الشعراءُ
على الرفّ.. يساقطون

شاعراً.. شاعراً

على الأرضِ حيث البساط القديمُ
وتهتزّ أعمدةٌ وتغورُ

ويرفرقُ فوق الزجاجِ

ملائكةٌ خائفون

ويحوُمُ شياطين مرتعبون

ووسطهمُ الصوتُ

.....

صوتك.. أم صوتُ الموت؟

جدار

وأخيراً.. وصلتَ الجدار!
الجدار الذي سوف يصبح بيتاً:
نوافذُ تنمو وعشبٌ طويلٌ
ويطولُ،
قطعةٌ في الزوايا
تُحاور أصحابها الميتين،
وشرافشُ مفتوحةٌ للهواءِ
وزوجان خلف الشرافشِ يختبئان
ثمَّ ينسحبان
إلى الظلّ - كلٌّ إلى ظلّه -
بانتظارِ الصباحِ الذي سيُجىءُ
بشرافشه

وقطته

وأصحابها الميتين.

يا لهذا الجدار الغريب!

كيف يخلد، مثلك، للنوم ثم يقوم صباحا

مع الشمس، أطول من أمس

يحضنه الزهر والفجر يهديه

ماء السماء،

كلما جفّ منه صخر،

ويرفعه ربّك، حين يميل،

بلا عمد.

يا لهذا الجدار الطويل

بطول الخليفة!

كيف ستفتح أبوابه،

وتكسر أحجاره،

وتجمّع أخشابه

لتصنع منه قاربا؟

في الطريق

في الطريق إلى البيت
كان الشجر
ينحني فوق ظهركَ،
يلتفّ حولكَ حيث تلقتُ،
يطلعُ أخضرَ، مكتملاً، يابساً
يتبعثر فوق الطريق إلى البيتِ
حيث كان الجميع
يتكاثر فوق الرصيفِ
وينمو الغبارُ على الحافلات الطويلةِ
كامرأةٍ كنت تعرفها
- كنت تعرفها؟ -
كنت تبدأ هذا الطريق

والعصافير نائمة
وتعودُ مع الليلِ
والقطط الضائعة
تتعقب خطوك حتى تغيب
من الفجر للفجر...
كنت تعرفه
بشراً وكلاباً
ومصاييح كانت تدورُ
على رأسك المنحني
إلى الأرضِ كالكرات...
مفاتيحه الذهبيةُ في جيبك الجانبيِّ
تدوّنُ إيقاعها
على وقعِ خطوكِ حين تسرع وطأته
- حيث يثقلك الآخرون -
أو تنقله من رصيف لرصيف
وأنت ترى
ملامح غامضةً كنت تعرفها

في مكانٍ بعيدٍ في الزمانِ،

تتقافزُ فوق الرصيفِ.

على الورقِ المتساقطِ..

ثم تغيب.

خلف أي منعطفٍ؟

مستقيماً كما الله كان الطريق

يوزّع أضواءه فوق كل الرؤوس،

فوق ليل الكنائس، حارسة الله،

على عاهراتِ المساء،

حارساتِ الفضيلة،

على الداخلين بأفواجهم

والخارجين الوحيدين..

أين تعثرتَ بالبشر العابرين

فاستدار الطريق

بك والليلَ والقطط الضائعة

حيث ترتفع الشهادات

وتصطفّ حولك مثل التلاميذِ.

أو تتحني فوق ظهرك مثلَ الشجر؟

أي منعطفٍ قد دخلتَ

فدار بك الطريق؟

يد

يدٌ تدقّ على النافذة

لعلها يد المطر

لعلها يد طائر غريب

يدٌ بلا أصابع

لعلها يدٌ عائدةٌ من الحرب

يد متربة

لعلها يد أبي

ألا تسمعين؟

هناك يدٌ تدقّ على النافذة

يدٌ تتكونُ

يصعدُ فيها الدُمُ

يد بيضاء

لعلها يدُ أضاعها الله
لعلها يدُ هربت من سرير الحبِّ
أصغي!
هناك يد تدقُّ على النافذة
لعله جاء أخيراً
متعباً من حمل الصباح
وحمل المساء
يدُ تتنفسُ
تجمّع راحتها
كأنها تمتصّ النافذة
كأنها تمتصّ البيت
ثمّ تدقُّ
يدُ ترسمُ جسداً
يدُ تكتب شيئاً
فوق النافذة
افتحي النافذة
هناك يدُ تدقُّ

إنه ليس المطر
يغسلُ شعره فوق النافذة
إنها ليست يد طائر غريب
وليس هو جناح الليل ما تبصرين
يد مثل يدك
مثل يدي
تدقّ فوق النعاس
فوق المدينة
فتعوي الكلابُ
وتوصد النوافذُ
فهناك يدٌ تدقّ
يدٌ تبحث عن أختها
يدٌ تموت من الوحدة
في العالم المليء بالأيدي
الطويلاتِ الراقصاتِ كالبجعات
يدٌ وحدها تدقّ
تسمعها الذئاب في البراري

لعلها يدُ هربت من الحربِ

لعلها يدُ أضاعها الله

لعلها يدكِ

لعلها يدي

أزichi الغطاء

ودعيها تنم

هنا، بيني وبينكِ

في منتصف السرير.

.....

لماذا تغلقين النافذة؟

بابل... بابيلون

وكان المغني يغني
أغاني مرميةً في شريط قديم
- أتذكر ذات صباح
كم تدافعتَ والوحشَ فوق التيمز
لتشربَ قطرة ماء..
ورأيتَ الغرقى ؟
- كأنهم مسحوا الآنَ بالزيتِ أجسادهم
كم جميلين كانوا!
وهمُ يرفعون الرؤوس
لكي يحرسوا الشمسَ حتى تغيب
وتعودَ برائحة الوحشِ والطينِ
والنبتِ فوق الفرات

- أو هم يحنون على قطرات الماء ظهورهم،

يكسوهم ريش الطير،

قصباتٍ تومض تحت الشمس..

جميلون هم الموتى!

- أولم يمت الموتى؟

- وجميلين كنا

على نهر بابل.. تذكر؟

غير أنك يا صاحبي

قد تفرعت مثل المياه

ورأيتك ذات صباح

تتمرى مع الميتين الجميلين فوق الضفاف

وأنت تسربُ ماءك بين الأساطير

قلتُ: أراك قريباً

- كم حبيبين كنا!

لعبنا طويلاً

على الضفتين

كبرنا معا..

وانشطرنّا لنصفين

وكان المغني يغني:

أحبك حتى لتوجعني القبعة⁽¹⁾

فيلتقط العابرون

قطراتٍ من الحُبّ تسقط فوق الرصيف

وتهرب امرأة للفرات

لتموت من الحبّ.

- تذكرها؟

- أذكر الجسر،

وقفتها على الجسر، ثقلَ تلك السماء على كتفيها،

ثم قفزتها..

وتموج ذاك الجسد،

وموسيقاه وهو يبحرُ فوق المياه السعيدة.

أذكر اللاأحد

وهو يغمض عينيه ثم يسيرُ

(1) لوركا

وكان المغني يغني:

متى سوف تكتملين؟

كم من الموتِ سوف تحتاجين مني لتكتملي؟

- كنت أعبر في لحظة من صباح الطفولةِ

فوق الفرات

وكنّ النساء

يرحن يجئنَ وهن يتحدثنَ عنك⁽¹⁾

- وكان المغني يغني:

أحبك حتى لتبكي النوارسُ فوق السفائنِ

في ذروة البحرِ أو تتماوجُ فوق الرمالِ

من الحبّ..

أنت وحدك كنتَ هنا

و كنتَ هناك

وبين الزوايا

كانت الأغنية:

تتلوى

(1) تي.أس. البيوت: "أغنية حب الفريد بروفروك".

بابلون!

بابلون!

تصرخ الأغنية

من الحبّ، والراقصون

يدورون حولي:

بابلون

بابلون

- وأنتِ تنامينَ فوق الأريكةِ

صافيةً كالمياه

كأنك كنتِ هنا

كأنك كنتِ كتبتِ الأغاني

ثم خبأتها في الحقيبة،

كأنك وحدتِ كل الأغاني

فأنتِ توجهتُ أسمع أغنية واحدة:

بابلون

بابلون...

وثيابكِ مرميةٌ في الحديقة

مثل عاهرةٍ كنت أحببتها
ذات ليلٍ بباريسَ، والنافذة
تتشربُ عريكِ ثم تسربه للمياه.
كنتِ واقفةً تشرفينَ على الماءِ...
فوقكِ ذاك الرداء القديم،
الرداء الذي كنتُ أعرفه
قبل أن تكبري
مسافةً شبرين على النهر..
كنتِ تغنينَ شيئاً
ثم أنساهُ.
وكنّ النساء يرحنّ يجئنّ
وهن يتحدثنّ عنكِ.
وعلى النهر ينسابُ شيء من الدم..
كان بلونكِ.. هل كنتِ أنتِ؟
وعلى النوم شيء من الدم
يُشبهه وجهي.. هل كنتِ أنا؟
هل تقولين شيئاً

عن الدم فوق المياه؟

هل تغنين شيئاً

عن الدم فوق السرير؟

عن الدم فوق الأغاني؟

بابلون..

بابلون..

- لا تجر يا تيمز⁽¹⁾

لا تجر يا فرات

سأحتاج نهرين حتى أغني:

السفائن تبحرُ

والكلماتُ ستبقى

حيث يسقطني

حبّك الذهبيّ

كقنديل ضوءٍ على العشب⁽²⁾

لا تجر يا تيمز

(1) اليوت: " اجر يا تيمز بهدوء"، وقد حورها البياتي إلى " لا تجر يافرات".

(2) الشاعرة اليونانية الكسندرا بلاستير.

لا تجر يا فرات
سأحتاج أغنيتين
لأكمل أغنيتي
وسأحتاج شيئاً من الموتِ
كي أبدأ الأغنية:
بابلون
بابلون
- كم بابل أنت؟
كثيرة أنتِ
رأيتك في روما،
في نيسان،
شهر الموت،
في غرفة مايكل انجلو
وأنت تنهضين في الصباح..
وتعثرُ بالضوء في باريسَ
قلتُ: أنتِ
كنت مرميةً في الكنائس،

في بيغال،⁽¹⁾
وكان جاك بريل⁽²⁾ يغني:
أنت العاهرة الأولى،
حارسة بيت الرب،
زوجة الموت أنتِ.
وكنت في برلين
مانيكان الله في المخازن،
ورائحة الماء فوق شعرك،
ثم سألتني:
ألم تمت معي هناك؟
كيف فتحت القبر؟
ما الذي تبتغيه هنا؟
كنت أتبعك
من النهر للنهر

(1) بيغال: شارع العالم السفلي في باريس.
(2) جاك بريل (1929-1978)، مغن وشاعر بلجيكي. قضى
نصف حياته في باريس.

ورأيتك مرة في شارع بنيويورك... كنت تسابقين
الموتى بثيابك الجديدة لركوب الحافلة، ومرة رأيتك
في سفينة تنقل مسز بيل⁽¹⁾ من الفرات إلى التيمز

- لا أذكر شيئاً

- كنت أسمع منك حفيف القميص

وأرى رائحةً

تتجول في الطرقات

من بابل حتى غرفة نومك،

أسمع موسيقاك تصعد فوق السلم،

أو تركب حافلة حمراء بلندن، أو تطرق بابي

منتصف الليل..

فأهتف: جئت

كنت تمرين مسرعةً مثل أغنية مات شاعرها،

تركضين ككلبة صيد

(1) البريطانية جيرترود مارغريت بيل (1868-1926)،
الملقبة بـ"صانعة الملوك"، وهي التي نصبت فيصل الأول ملكاً
على العراق (1921)، وأنشأت المتحف الوطني العراقي. ماتت
في بغداد، ودفنت في المقبرة البريطانية.

وراء الشوارع وهي تسافرُ،
تبجر مثل البواجرِ
بالآجر المتآكلِ،
بالشجر المتساقطِ،
بالبشر المنتظرين على الأرصفة.
- من أنت؟
- إني ابنك
- لكن لم يمسنني أحدٌ
أو أمسس أحدا
كنتُ القابلة الأولى
من أين أتيت؟
- من تلك الأرضِ
- أعرفها.. كنتُ هناك.
تعال إذن
لأعيد إليك الجسد
وأغسل عنك دماء الجنودِ
تعال إذن لأريك

ترابك في جسدي.

أيّ ربّ يقدر لي

أن أراك هنا

وأراك هناك؟

وكان المغني يغني:

ذراعك تزهر حين تنامين جنبي

تعالى إلى النوم

حين أحبك

حين تخون الأغاني

معانيك أو تهجر الحبّ شهوته

- انتظرتُ مجيئك عند المساء

على قارب الموتِ

قلت: تعودين يوماً

حكمة الميتينِ على كتفيك

- ولكنني لم أمت

ربما متّ بعض زمانٍ

في مكانٍ

لست أذكر ..

بل أذكر النهرَ يرحلُ..

كنتُ وحدي

- كنتُ خلفكٍ أذرع خطوي

أقول: وصلتُ

ثمّ إنني تعبْتُ

قلتُ: ألقاك بعضَ زمانٍ

في مكانٍ

وبين الزوايا

كانت الأغنية

تتلوى:

بابلون

بابلون

تصرخ الأغنية

وحدها في البراري:

بابلون

بابلون

من أنت؟

كم تكاثرت أنت!

- من الموت

متُّ كثيراً

وكنتَ تتبعني

كنت أعرف أنك تتبعني

غير إني مضيتُ

كيف أنظرُ خلفي وأنتَ أمامي؟

كيف أبصرُ خلفي وأنتَ أمامي؟

وكان المغني يغني

أغاني مرميةً في شريط قديم

فيلتقط العابرون الوحيدون فوق الرصيف

قطرات من الحبّ تندسّ بين الثياب

ثم يمضون..

اثنين... اثنين.

لم يبق شيء

لم يبق شيء
حزمةً موسيقى تطيرُ في الهواء،
لاعبان يرقصان مشدودين فوق الحبلِ
طول الوقتِ يرقصان
شيءٌ من الحبِّ على مائدة الليل،
وغصنان يرقصان
حين تهبّ الريح
فوق الجبال البعيدة
لم يبق شيء
بضعة أعضاء تحرك الأعضاء
وجسدان يهدان
في أول الليل

غريبين عن الأرض التي
دارت على السرير...مرتين.

فأر

تمر الصباحاتُ،
كل صباحٍ تمرّ،
والمساءاتُ ..
كل مساءٍ تمرّ.
يمر قطارُ الصباح،
يجيء قطارُ المساء،
وهو يقبع تحت حجرتِه.
المياه تنزّ عليه
والسقوفُ
تتدلى إلى الأرضِ.
تمتدّ أيدٍ من السطح،
تعلو الصراخاتُ..

يزحف حشد المصلين،
تنهض كل المدينة من نومها،
وهو يقبع تحت حجرته
ربما بانتظار فأرة الموت..
قد يحجب الله غرتها
بعض وقتٍ لحكمته،
قد تكون
سافرت في قطار الصباح
وتعود
في قطار المساء.

.....

تمر الصباحات،
كل صباحٍ تمرّ،
والمساءاتُ ..
كل مساءٍ تمرّ..

يد الإله الأخيرة

هل أمدّ يدي؟
ليد الإله الأخيرة وهي تمتدّ خضراء
في الأرض ..
بين الحشائش تمتدّ حين أسيرُ،
وعلى الطين حيث تنزّ الشفاه
وتحت قميص الحياة،
وفوق السرير الغريب،
إذا أغمض الليلُ عينيه دوني،
وتركض خلفي إذا افترس التربُّ ظلي.
هل أمدّ يدي؟
ليد الإله الأخيرة وهي تقتربُ
من يديّ لتخرجني

من كتاب المرايا القديم،
وتدخلني في كتاب المرايا الجديد.
أم سأسحبُ جسمي،
ثم أعودُ
لأدخلَ، ثانية، بيتاً غريباً
سيدفن في الجسم أخشابه،
وقبته المستطيلة حتى السماء،
وباباً حديداً
سيصدأ في الجسم حتى يذوب.
هل أمدّ يدي؟
يد الله تمتد فوق الرمالِ ،
وأختي هناك
تبدّل أكفانها
لنزعتها السنوية..
سوف ترقصُ بيضاءَ مغسولةً بالروائح
فوق سواحلَ بيضاءَ كنت أعرفها..
ستقولُ: كبرت عليك..

نحن نكبر أيضا.
هل أمدّ يديّ
ليد الله فوق الرمال؟
سوف تنبضُ خضراءَ بين يديّ
وتدخلني بيتَ أختي
سأفرح حتى الإعياء،
وأراقص ظليْنِ مخضريْنِ مثلِ النباتِ.
فماذا أريد من الشمسِ غيرِ ظليهما
وهما يفرشان الحياة
على الأرضِ تحتي؟
أم سأمضي وحيدا؟
إلى جبلِ سوف يعصمني،
وأبدلَ أرضاً بأرضِ،
وجنساً بجنسِ،
وأعوذُ
لكتابِ المرايا القديمِ،
وبيتِ غريبِ

أجمّع أعشابهُ،
وأطاول قبتهُ،
وأقارع باباً حديداً
سيصدأ في الجسم
عضواً..
فعضوا..
هل أمدّ يدي؟

سهام*

أما تدركين؟
إنه الصبحُ ينهضُ،
واللهُ يستبدلُ الضوءَ بالظلِّ فوق الترابِ،
فانهضي.
عندك الوقتُ كي تنهضي
ودعي النومَ حتى المساء.
كلّ شيءٍ تغير بعدَ الغيابِ،
وعما رأيتِ على الأرضِ ما قبلَ قبركِ.
ثمة طيرٌ على القبرِ يخفقُ طول الصباحِ،
والمدارسُ تفتحُ أبوابها

* أخت الشاعر، المربية والمناضلة التي رحلت في 2009/3/30.

بانتظار دروسك في الحبّ..

هل تدخلين؟

أدخلي! قاعة الدرس

أو غرفة الحبّ،

أو غابة الوحش..

حرة أنت كالطير فوق ترابك،

تمرحُ أو تتزاوجُ اثنين اثنين حتى تموت.

افعلي ما تشائين حين تشائين

ثمّ عودي

إلى القبر عند المساء.

لك كل النهار،

نهارٌ صغيرٌ سيكفي لهذه الحياة

من المهد حتى مدار السرطان،

لقطارات لندن،

والمعرض البابليّ بلندن..

كل الكنائس مفتوحة لك أيتها السيدة

أدخلي! عندك الوقت كي تلعب

بين سرب الحمام
لك كل المرايا
لتمشيط شعرك منذ تفيق الطيور
وحتى تنام.
أو أقول لموتك ما لا يقال.
سأقول لموتك كيفيك ليل
لتفعل ما قد تشاء،
ثم ولي مع الصبح حتى تقوم القتيلة
ثم تطير إلى البيت (كان بيتاً كبيراً)
لتسقي النبات،
وترعى الحديقة
ثم تعود إلى النوم بين يديك.
إنها قسمة عادلة
أيها الموت..
ليلك لك
ونهار قصير لنا سيكفي
لاكمال الحياة

من المهد حتى مدار السرطان.
سيكفي لاختبار الخلايا
وصنف الدم
واحتباس القصبات على الهواء،
وقياس الحياة على الرأس والصدر
بعضُ نهارٍ سيكفي
لنفتح سيرتنا
ونراجع ذاكرة البيت
كم كان بيتاً كبيراً!
بكواكب يشرقن في السرّ،
بينهنّ وبين الإله عقودُ،
كلماتٌ ووعدُ،
مواعيد سرّية،
وأغاني عشق...
كنتِ واسطة العقدِ
- يا لئله

كيف يختار واسطة العقد؟*-

لا تندمي!

ارقدي تحت أمك.

كان انتظاراً طويلاً

منذُ 1998 / 4 / 16

حتى 2009 / 3 / 30

وهي تنتظرُ

أن تطلّين فجراً

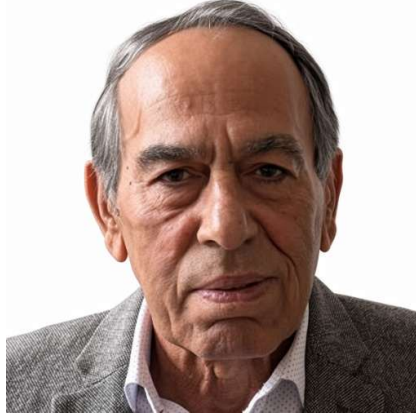
كيف أخلفتِ مواعدها؟

ادخلي بيتَ أمك فهو فسيحُ

ولا ترجعي لمدار السرطان..

مدار البشر.

فاضل السلطاني



شاعر، ومترجم، وصحفي، وباحث عراقي، يُعد من الأسماء الفاعلة في حركة الشعر والترجمة العربية المعاصرة، ولا سيما في أدب المنفى والارتحال والتلاقح الثقافي بين الأدبين العربي والإنجليزي. ولد في مدينة سدة الهندية، محافظة بابل، العراق، عام 1948. حصل على شهادة البكالوريوس في الأدب الإنجليزي من جامعة بغداد. نال درجة الماجستير في الأدب الحديث (الأدبين الأوروبي والأميركي) من كلية بيركبيك التابعة لجامعة لندن. بدأ عمله الثقافي والصحفي في سبعينيات القرن الماضي داخل العراق، في صحيفة «طريق الشعب»، وكان

عضواً في نقابة الصحفيين العراقيين والاتحاد العام
للأدباء والكتاب في العراق.
بدأت رحلة الاغتراب الأولى عام 1977، حيث غادر
العراق مرغماً بسبب الظروف السياسية، متوجهاً إلى
المغرب حيث قضى سنتين درّس خلالهما في مدينتي
تارودانت وبنو ملال، ثم انتقل في عام 1979 إلى
الجزائر مواصلاً عمله في سلك التدريس في مدينة
بسكرة، ومدينة تلمسان، وفي عام 1985 انتقل إلى
سوريا ليشارك المشهد الثقافي والصحفي العربي خلال
فترة إقامته في دمشق.

استقر في العاصمة البريطانية لندن منذ عام 1994،
ليصبح واحداً من أبرز وجوه الثقافة العربية في المهاجر
الأوروبية.

يشغل منصب محرر الشؤون الثقافية والكتب في صحيفة
"الشرق الأوسط" اللندنية منذ عام 1997، ويسهم
بانظام بكتابة المقالات والدراسات النقدية والترجمات في
المجلات الأدبية مثل (مجلة الجديد، مجلة الفيصل،
والكلمة).

تتنوع مؤلفات فاضل السلطاني بين الدواوين الشعرية،
والترجمات الرفيعة من الأدب العالمي، والدراسات
النقدية الفكرية:

1. المجموعات الشعرية:

- ديوان قصائد، 1982 صدر في لندن
- ديوان النشيد الناقص، 1992 - دار حطين، دمشق.
- ديوان محترقاً بالمياه، 2000 - المؤسسة العربية
للدراسات والنشر - بيروت لبنان.

- ديوان ألوان السيدة المتغيرة، 2010 - دار المدى، بغداد.
- ديوان لا أحد يعود، 2017 - دار نون للنشر (الشارقة - القاهرة).
- ديوان عند منتصف الذاكرة، 2024 - مختارات شعرية شاملة صدرت عن دار الشؤون الثقافية العامة في بغداد.

2. الكتب المترجمة (من الإنجليزية إلى العربية):
 قدّم للمكتبة العربية ترجمات هامة لنخبة من ألمع الأدباء والشعراء العالميين:
- قاعة الرقص الرومانسية، قصص للكاتب الأيرلندي الشهير وليم تريفور (دار الطليعة الجديدة، دمشق، 1995).
- العين الأكثر زرقة، رواية الكاتبة الأميركية الحائزة على نوبل توني موريسون، 1997 - دار الطليعة الجديدة - دمشق - سوريا.
- قصائد مختارة للشاعر التشيكي ميروسلاف هولوب، 2000 - الهيئة العامة لقصور الثقافة، القاهرة - مصر.
- خمسون عاماً من الشعر البريطاني، أنطولوجيا كبرى ودراسة، تضم قصائد مترجمة لـ 56 شاعراً بريطانياً معاصراً. 2008 - دار المدى - دمشق.

3. الدراسات النقدية والفكرية:

- الأرض اليباب وتناسها مع التراث الإنساني، دراسة نقدية معمقة حول قصيدة تي إس إليوت الخالدة، 2021 - دار المدى - بغداد.
- البربرية الثقافية.. وقائع الانهيار، كتاب فكري ونقدي يجمع دراسات ومقالات ترصد التحولات الثقافية العربية واللغوية وتدعو لإعلاء العقل النقدي. 2025 - دار خطوط وظلال - عمان الأردن:
- كتب ودراسات باللغة الإنجليزية، ومنها:
- فيليب لاركن شاعراً منتمياً - Philip Larkin as a Outsider Poet، 2013 - (دار ميرا للنشر Mira Publishing House).
- ثلاثة شعراء محدثون Three Modern Poets، 2014 - صدرت نسخته العربية بعنوان "الإرث الكولونيالي والحداثة وما بعد الحداثة"، 2026 - دار تكوين - دمشق.